

## فنون النثر الجزائري القديم- الخصائص والخصوصية

The ancient Algerian prose arts- Features and peculiarity

Les arts anciens de la prose algérienne – Caractéristiques et particularités

فاطمة دخية\* (1)

جامعة محمد خيضر - بسكرة - (الجزائر)

fa.dakhia@univ-biskra.dz

تاريخ النشر: 2022/06/10

تاريخ القبول: 2022/04/19

تاريخ الإرسال: 2022/01/15

الملخص:

لقد استطاع النثر الجزائري القديم أن يحتل مكانة مميزة في الأدب العربي، واكتسب تميزه من الخصوصية التي يشكلها الإنسان الجزائري في بيئته و واقعه، ومن هذا المنطلق تهدف هذه الورقة البحثية إلى دراسة ثلاثة أنواع مهمة من الفنون النثرية القديمة وهي ( المقامة ، الخطابة، الإجازة) ونروم خلال ذلك كشف الخصائص الفنية والدلالية التي انطوت عليها هذه الفنون ، وكيف شكلت هذه الخصائص مجتمعة الخصوصية التي ينفرد بها النثر الجزائري القديم؟

الكلمات المفتاحية: النثر ؛ القديم؛الخصائص؛الخصوصية .

**Abstract :**

The ancient Algerian prose managed to occupy a distinguished position in Arab literature in general, and gained its distinction from the specificity that the Algerian person poses in his environment and reality, and from this standpoint this research paper aims to study specific types of ancient prose arts. We intend during this time to reveal the artistic and semantic characteristics of these arts, and how did these characteristics collectively constitute the specificity of the ancient Algerian prose?

**1. مقدمة:**

أفرزت فنون النثر الجزائري القديمة عدة مظاهر للتشكيل الجمالي والدلالي، فهي لغة أدبية مقصدها التأثير في النفس، وهي من ناحية أخرى تعكس أهمية الكتابة النثرية ودورها الريادي في الحياة السياسية والثقافية في الجزائر القديمة على مراحل زمنية متعاقبة. وقد استطاع النثر الجزائري القديم أن يحتل مساحة خاصة به في الأدب العربي القديم عموماً، وتقوم هذه الدراسة على تقصي ثلاثة أنواع مهمة من فنون النثر الجزائري القديم ألا وهي: المقامة، الخطبة والإجازة.

**2. المقامة:**

هي من أهم الفنون في الأدب العربي، خاصة من حيث الغاية التي ارتبطت بها أولاً وهو التعليم وتلقين صيغ التعبير، وهي «صيغ خلّيت بألوان البديع وزُينت بزخارف السجع، وعُنِي أشد العناية بنسبها ومعادلاتها اللفظية وأبعادها ومقابلاتها الصوتية» (ضيف، 1964، صفحة 5).

**1.2 المقامة لغة:**

هي المجلس، ومقامات الناس مجالسهم. فاستُعملت بمعنى مجلس القبيلة أو ناديها على نحو قول زهير:

وَفِيهِمْ مَقَامَاتٌ حِسَانٌ وَجُوهُهُمْ وَأَنْدِيَةٌ يَنْتَابُهَا الْقَوْلُ وَالْفَعْلُ

وتأتي أحيانا بمعنى الجماعة التي يضمها المجلس أو النادي كما في القول لبليد بن أبي ربيعة:

وَمَقَامَةٌ غَلَبَ الرِّقَابِ كَأَنَّهُمْ جِنٌّ لَدَى طَرْفِ الْحَصِيرِ قِيَامٌ

**2.2 المقامة اصطلاحاً:**

هي فن كتابي سردي، عبارة عن أحاديث خيالية أدبية بليغة، تُلقى في جماعة من الناس، وهي ليست قصة؛ بل هي حديث أدبي بليغ، يكتسي نوعاً من الحيلة بغية الإطلاع على حادثة معينة، لكن في حقيقة الأمر «فالحادثة التي تحدث للبطل لا أهمية لها؛ إذ ليست هي الغاية؛ إنما الغاية هي التعليم والأسلوب الذي تُعرض به الحادثة» (ضيف، 1964، صفحة 9)، والغرض الأساسي من كل ذلك هو تعليم الناشئة اللغة وأساليبها.

كما ترتبط لفظة مقامة بالدلالة الاجتماعية؛ «حيث تُصوّر موقفاً من المواقف هو موقف التهاجي والمخاصمة أو المناظرة الذي يكون للكلمة فيه الدور الذي لا يُجحد والأثر الذي لا يُنكر» (عبد الحميد، 1994، صفحة 19).

وقد دلت المقامة على «العظة والخطبة الأخلاقية ينشدها الرجل بين يدي الخليفة والأمير، فقد عقد ابن قتيبة في (عيون الأخبار) فصلاً أسماه مقامات الزهاد عند الخلفاء والملوك». (الكك، 1961، الصفحات

43-44) ثم تطور مفهوم الكلمة وأصبح يُطلق على (الأحدوثة من الكلام)، يقول القلقشندي: «وسميت الأحدوثة من الكلام مقامة، كأنها تُذكر في مجلس واحد يجتمع فيه الجماعة من الناس لسماعها» (القلقشندي، د.ت، صفحة 110).

أما يوسف نور عوض فقد اعتبر أن «المقامة الفنية قصة قصيرة بطلها نموذج إنساني مُكِّد لها راوٍ وبطل، وتقوم على حدث طريف، مغزاه مفارقة أدبية أو مسألة دينية أو مغامرة مضحكة تحمل داخلها لونا من ألوان النقد أو الثورة أو السخرية، وُضعت في إطار من الصنعة اللفظية والبلاغية» (عوض، 1979، صفحة 8).

فمن التعريفات السالفة الذكر نجد أن للمقامة معانٍ كثيرة، إلا أنها تشترك في خصائص معينة وهي الراوي والبطل والأحداث والمكان والزمان.

### 3. نشأة المقامة وتطورها في الأدب العربي:

ظهرت المقامة في العصر الذهبي (العباسي) في القرن الرابع الهجري على يد بديع الزمان الهمداني الذي كان له الفضل في اكتشاف هذا الجنس الأدبي، والذي أبدع فيه أيما إبداع، فكل كتب النقد تشير إلى هذا الأديب، أما الرأي المقابل فيمثلته من القدماء الحصري (القيرواني، 1991، صفحة 45)، الذي أورد في زهر الآداب بأن «البديع عارض بن زيد الأزدي أغرب بأربعين حديثا، وذكر أنه استنبطها من ينابيع صدره، واستنسخها من معادن فكره، وأبداها للأبصار والبصائر، وأهدافها للأفكار والضمائر في معارض أعجمية، وألفاظ حوثية، فجاء أكثر ما أظهر عن قبوله الطباع، ولا ترجع له حجتها الأسماع، وتوسع فيها، إن صرّف ألفاظها ومعانيها في وجوه مختلفة وضروب متصرفة، عارضها بأربعمئة مقامة في الكدية تدوب ظرفا وتقطر حسنا» (الحصري، 2005، صفحة 315)

وقد أيد رأي الحصري من المحدثين زكي مبارك في قوله: «قد وصلت إلى أن بديع الزمان ليس مبتكر فن المقامات، وإنما ابتكره ابن دريد المتوفى سنة 32 هـ». (الكك، 1961، صفحة 53).

ونستشف من الآراء السابقة بان بديع الزمان الهمداني لم يأخذ من أحاديث ابن دريد فقط؛ بل غرف من ينابيع أخرى، وهذا ما أكده عبد المالك مرتاض، والأستاذ فكتور الكك الذي يرى أنه «لا يجوز لنا أن نقصر تأثير البديع على ابن دريد؛ فالهمداني تأثر بجميع الأديباء الذين سبقوه، وعندنا أن التأثير الجذري الذي يتبينه الناظر في المقامات بالذات؛ فالجاحظ أول من تحدث عن أهل الكدية، حتى أنه ألف كتابا في جيل اللصوص والمكذبين» (الكك، 1961، صفحة 55).

ومهما يكن فإن لابن دريد وبديع نقاط توافق واختلاف إلى حد التباين إلا أن بديع الزمان الهمداني هو مبتكر المقامات؛ إلا أن طريق ابن دريد تحمل طابع السرد وتفتقر إلى طريقة السرد.

## 4. المقامة في الأدب الجزائري القديم:

لا أحد ينكر تأثر المغاربة بالمشاركة فقد « غرأ أدباء المغرب العربي من معين المشاركة وتأثروا بكتاباتهم؛ إذ اتخذوا من أساليب أدباء المشرق نماذج ينسجون على منوالها» (عباس، 1981، صفحة 308)، وقد ظهر هذا التأثير في مقامات ابن شرف القيرواني والسرقسطي والوهراني وغيرهم. أما المقامات في الجزائر خلال العهد العثماني، وهو موضوع بحثنا، فقد ضعفت شكلا ومضمونا واتسمت بسمة العصر، ومن الكتاب الذين تناولوا هذا الفن أحمد البوني في كتابي المسمى (أعلام الأبحار بغرائب الوقائع والأخبار).

و«كان البوني قد كتبها سنة (1106هـ) وموضوعها هو علاقة العلماء بالسلطة والاستتجاد بصديقه مصطفى العنابي والشكوى من وشايات أهل العصر» (سعد الله، 1998، صفحة 216)، يقول فيها: «الحمد لله الذي جعل المصائب وسائل لمغفرة الذنوب، والنوائب فضائل لذي الأقدار الخطوب، وسلط سبحانه وتعالى على الأشراف أرباب الزور والفجور والإسراف ليردهم بذلك إلى باب مناجاته والإسراف، وبعد، أيها العلماء الفضلاء، النبلاء، الكملاء فرغوا أذنانكم وألقوا آذانكم، وتأملوا ما يلقي إليكم من الخبر الغريب، وما يرسله الله تعالى على كل عاقل أريب، فقد ارتفعت الأشرار واتضعت أرباب المعارف والأسرار وانقلبت الأعيان، وفشا في الناس الزور والبهتان، وأهملت أحكام الشريعة وتصدى لها كل ذي نفس للشر سريعة؛ بينما نحن في عيش ظله وريف، وفي أهني لذة بقراءة العلم الشريف [...] إذ سعى في تشتيت أحوالنا وقلوبنا، ونهك أستاذنا وعيوننا، من لا يخاف الله ولا يتقيه، فرمى كل صالح وفقه بما هو لاقية، واعتد في ذلك يقوم يظنون أنهم أفاضل، وهم والله أوباش أراذل... وما كفاه بث ذلك في كل ميدان لأن يسر الشيطان حتى أوصله لمسامع السلطان، فلم نشعر إلا ومكاتب واردة علينا من جانب الأمير بعزل صديقنا الشهير من خطة الفتوى، مع أنه ذو علم وتقوى، تحيرنا من ذلك أشد التحير وتغيرنا بسببه أعظم التغير، ثم نادى منادي السرور، وقال أبشروا برفع السوء ودفع الشرور [...] فقلنا يا هذا أصدقنا في هذه البشارة» (سعد الله، 1998، صفحة 219).

والملاحظ على هذه المقامة أنها جاءت على شكل خطبة بعيدة كل البعد عن المقامة التقليدية البديعة، وهذا ما أكده إحسان عباس في قوله «أصبحت صورة من رسالة يقدمها شخص بين يدي أمر يرجوه أو أمل يجب تحقيقه» (عباس، 1981، صفحة 308).

ومن الذين ألفوا في فن المقامات في العهد العثماني ابن حمادوش الذي ألف ثلاث مقامات يقول في المقامة الهركلية «الحمد لله حدى بي حادي الرحلة إلى أن دخلت في بعض أسفاري هركلة، ودخلت بها في خان، كأنه من أبيات النيران، أو كنائس الرهبان، بل لا شك أنه من أبيات العصيان. فاختصت منه

بحجرة فكأنها نقرة في حجرة فغلقت بابي، لأحفظ صبايبي وآمن خبايبي... حتى مد الليل جناحه، وأوقد السماء مصباحه، وهذأت الأصوات وصرنا كالأموات، فلم يوقظني إلا جلبة الأصوات وتداعى القيانات والتدافع بمنع وهات إذا بجاري بيت، يحاسب (صاحبه) قيته على كيت كيت وهي تقول له فعلت كذا وكذا فعله، وتدفع أجر فعله... فقلت بُعدا لهذا الجار، ولا شك أنه بنس القرار، ولبئس الخان كأنه حان ثم رجعت إلى هجعتي وتجاوزت عن وجعتي» (سعد الله، 1998، صفحة 220).

وهذه المقامة تختلف عن سابقتها من الوجهة الفنية، إذ لا ينقصها عنصر الحكاية ولا الخيال، ولا الرمز، إلا أنها شبيهة بالرسالة أو الخطبة، وهذا من خلال الاستفتاح، يقول الحمد لله كما ختمها ابن حمادوش بأبيات شعرية مثل فعل بديع الزمان الهمذاني.

### 5. الخطبة:

**1.5 الخطابة لغة:** الخطب مصدر الخطيب، وخطب الخاطب على المنبر أو اختطب، والخطب مصدر الخطيب لا يجوز إلا على وجه واحد، وهو أن الخطب اسم، أما الجوهرى فيقول: خَطَبْتُ على المنبر خُطْبَةً بالضم، وخطبت المرأة خطبة، بالكسر، واختطب فيهما، قال: ثعلب: خَطَبَ على القوم خُطْبَةً فجعلها مصدرا، وقد ذهب ابن إسحاق إلى أن الخُطْبَةَ عند العرب: الكلام المنثور المسجع، ونحوه، ورجل خطيب، حسن الخُطْبِ.

وفي حديث الحجاج: أمن أهل المحاشد والمخاطب؟، فقد أراد بالمخاطب: الخُطْبِ (ابن منظور، 1993، صفحة 2230). أما عند "الزبيدي" فهو لا يكاد يختلف عن مفهومها عند "ابن منظور" حتى أنه مطابق له في المعنى واللفظ.

### 2.5 الخطابة اصطلاحا:

يقصد بها إلقاء الكلام المنثور مسجوعا أو مرسلا لاستمالة المخاطبين إلى رأي أو تعييبهم في عمل (محفوظ، د.ت، صفحة 96).

عليه فالخطابة فن أدبي يُعد من أقدم الفنون النثرية في الأدب العربي، يسعى إلى إقناع الجماهير، والتأثير فيها وفي سلوكها، وفي عقولها، وبهذا فهي تعالج قضايا كثيرة تفرضها عليها الظروف بكل أنواعها، ومن هذا تعدد أنواعها من خطب سياسية واجتماعية، ودينية حسب مقتضيات كل عصر.

### 3.5 الخطبة في الشعر الجزائري القديم:

إن الخطابة من أبرز فنون النثر في الأدب العربي، وأغراضها متعددة تشمل الدين والسياسة والاجتماع، ونحو ذلك، لكن مع مجيء العثمانيين انحصرت الخطابة في غرض واحد، وهي الخطابية الدينية المحصورة في المساجد، وذلك أن الساسة كانوا غرباء عن البلاد، كما كانوا لا يتقنون اللغة

العربية، وهذا ما أدى إلى ضعفها، ومن أشهر خطباء هذا العصر سعيد قدورة والمقري وعبد الكريم الفكون وأحمد بن عمار، وما نأسف له أن خطبهم لم تكن مدونة ولم يصلنا منها إلى القليل.

#### 4.5 خطبة الجمعة للشيخ سعيد المقري التلمساني بعنوان أسماء سور القرآن:

«الحمد لله الذي افتتح فاتحة الكتاب بسورة البقرة ليصطفى آل عمران رجالا ونساء وفضلهم تفضيلا، ومد مائدة أنعامه ورزقه ليعرف أنفال كرمه وحقه على أهل التوبة وجعل ليونس في بطن الحوت سبيلا- ونجى هودا من كربه وحزنه كما خلص يوسف من جبه وسجنه وسبح الرعد بحمده ويمنه، واتخذ الله إبراهيم خليلا، الذي جعل في حجر الحجر من النحل شرابا نوع اختلاف ألوانه وأوحى إليه بخفي لطفه سبحانه واتخذ منه كهفا قد شيد بنيانه أرسل روحه إلى مريم فتمثل لها تمثيلا، وفضل طه على جميع الأنبياء فأتى بالحج والكتاب المكنون حيث دعا إلى الإسلام: قد أفلح المؤمنون إذ جعل نور الفرقان دليلا، وصدق محمد صلى الله عليه وسلم الذي عجزت الشعراء في صدق نعمته وشهد النمل بصدق بعثه وبين قصص الأنبياء في مدة مكثه ونسج العنكبوت عليه في الغار سترا مسدولا.

وملئت قلوب الروم رعبا من هيئته وتعلم لقمان الحكمة من حكمته وهدى أهل السجدة للإيمان بدعوته وهزم الأحزاب وسباهم وأخذهم أخذا وبيلا، فلقبهم فاطر السموات والأرض بياسين كما نفذ حكمه في الصفات وبين صاد صدقه بإظهار المعجزات وفرق زمر المشركين وصبر على أقوالهم وهجرهم هجرا جميلا، فغفر له غافر الذنب ما تقدم من ذنبه وما تأخر وفصلت رقاب المشركين إذ لم يكن أمرهم شورى بينهم وزخرف منار الإسلام وخفي دخان الشرك وخرت المشركون جاثية كما أنذر أهل الأحقاف فلا يهتدون سبيلا، وأذاق الذين كفروا شدة القتال وجاء الفتح للمؤمنين والنصر العزيز وحجر الحجرات العزيز وبقاف القدرة قتل الخراصين تقتيلا.

كلم الله موسى على جبل الطور فارتقى نجم محمد صلى الله عليه وسلم فاقتربت بطاعته مبادئ السرور واقع الرحمن واقعة الصبح على بساط النور فتعجب الحديد من قدرته وكثرت المجادلة في أمته إلى أن أعيد في الحشر بأحسن مقيلا، امتحنه في صف الأنبياء وصلى بهم إماما فيلا تلك الجمعة ملئت قلوب النافقين من التغابن خسرا وإرغاما فطلق وحرّم تبارك الذي أعطاه الملك وعلم بالقلم ورتل القرآن ترتيلا وعن علم الحاقة كم سال فسأل الإيمان ودعا به نوح فنجاه الله تعالى من الطوفان وأتت إليه طائفة الجن يستمعون القرآن فأنزل عليه يا أيها المزمّل قم الليل إلا قليلا فكم من مدثر يوم القيامة شفقة على الإنسان إذ أرسل مرسلات الدمع فعم يتساءلون أهل الكتاب وما تقبل من نازعات المشركين إذ عبس عليهم مالك وتولاهم بالعذاب وكورت الشمس وانفطرت السماء وكانت الجبال كثيبا مهيبا، فويل للمطففين إذا انشقت السماء بالغمام وطوت ذات البروج وطرق طارق الصور للقيام وعز اسم ربك الأعلى الغاشية

الفجر فيومئذ لا بلد ولا شمس ولا ليل طويل، فطوبى للمصلين الضحى عند انشراح صدورهم إذ عاينوا التين والزيتون وأشجار الجنة فسجدوا باقرا باسم ربك الذي خلق هذا النعيم الأكبر لأهل هذه الدار ما أحيوا ليلة القدر وتبتلوا تبتيلا، ولم يكن للذين كفروا من أهل الزلزلة من صديق ولا حميم وتسوقهم كالعاديات على سواء الجحيم وزلزلت بهم قارعة العقاب وقيل لهم ألهاكم التكاثر هذا عصر العقاب الأليم وحشر الهمزة وأصحاب الفيل إلى النار فلا يظلمون فتيلا.

وقالت قريش ما أنتم من هول الحشر رأيتم الذي يكذب بالدين كيف طرد عن الكوثر وسيق الكافرون إلى النار وجاء نصر الله والفتح وتبت يد أبي لهب إذ لا يجد إلى سورة الإخلاص سبيلا، فتعوذ برب الفلق من شر ما خلق وتعوذ برب الناس ملك الناس من شر الوسواس الخناس الذي فسق، ونتوب إليه ونتوكل عليه وكفى بالله وكيلا» (شاوش، 2011، صفحة 154).

يظهر على الإمام سعيد المقرئ التلمساني نزعة الدينية في الحياة، وإيمانه القوي برب الكون وبرسله وأنبيائه وذكر معجزاتهم التي أودعها الله فيهم، مستشهدا بالآيات القرآنية الخالدة لكي يزيد من إقناع الناس وترغيبهم في التوبة، ونص هذا الخطيب لدليل واضح على تفوقه وتواصله مع المتلقي، وكل ذلك شحنا للنفوس وإلهابا لها وتوظيفه للقرآن الكريم زاد في إقناعه حتى أن القارئ ما إن يقرأ الخطبة حتى يتفاعل معها ويشعر بها.

#### أ/ فضاء الزمن:

اعتمد الخطيب على الزمن الماضي من خلال تذكيره بأسماء سور القرآن الكريم كقوله: «الحمد لله الذي افتتح بفاتحة الكتاب سورة البقرة» (شاوش، 2011، صفحة 154).

#### ب/ الترتيب الزمني:

تقويم هذه الخطبة فنيا على فكرة إهمال التسلسل الزمني، فقد عرفت هذه الخطبة الاستقرار الزمني، إذ غلب عليها الزمن الماضي لأنه بصدد تذكير المؤمنين بمعجزات الله واتخاذ الأنبياء والرسول قدوة لهم، لم يكن بحاجة إلى التمهيدات الزمنية، فكانت الأحداث تسير في تتابع وبوتيرة سريعة، فبداية الخطبة كانت عبارة عن أسماء سور القرآن الكريم.

#### ج/ الديمومة:

يمكن ضبط هذا الإيقاع باعتماد الحركات الأربعة:

#### - الحذف:

إن هذه الخطبة تحمل البياض والإضمارات الجزئية؛ والمتمثلة في انتقاله من سورة البقرة إلى سورة آل عمران، ثم إلى سورة الأنعام وصولاً الأعراف في الأخير وذلك بوتيرة سريعة جداً، فكان الحذف بذلك سريعاً.

#### - الخلاصة:

تظهر من خلال سرده لسور القرآن الكريم بصورة خاصة، ويتجلى في بداية الخطبة فينقل الخطيب من شخصية إلى أخرى تفصيل ولأفعال والأقوال وذلك في بضعة أسطر أو فقرات مقتضبة.

#### - الوقفة الوصفية:

كثيراً ما كان الخطيب يستخدم الوقفات الوصفية، حيث يضعنا على مقربة من شخصياته، فعندما حدثنا عن سيدنا موسى - عليه السلام - في قوله «كلم موسى على جبل الطور فارتقى نجم محمد صلى الله عليه وسلم فاقتربت بطاعته مبادئ السرور وأوقع الرحمن واقعة الصبح على بساط النور» (شاوش، 2011، صفحة 154).

ثم عندما انتقل إلى مقطع وصفي في قوله: «وكورت الشمس وانفطرت السماء، وكانت الجبال كئيباً مهيباً» (شاوش، 2011، صفحة 154).

وبهذا تحتل الوقفة الوصفية مكانة ومرموقة في بناء هذه الخطبة الدينية المسجعة المتكلفة في أغلبها.

#### - المكان:

لقد أسهم المكان في تطوير سرد الخطبة ومن الأمكنة المسيطرة فيها:

الجدول 1: يوضح الأمكنة المسيطرة فيها:

القسم	المكان	النموذج من الخطبة
البداية	الجب	كما خلص يوسف من جبه
	كهف	واتخذ منه كهفا
	الغار	ونسخ العنكبوت عليه
	السموات والأرض	فلقيه فاطر السموات والأرض
	الجبل	وكلم موسى على جبل الطور
	الشمس	وكورت الشمس
	الجنة	وأشجار الجنة
	السوق	إلى السوق الجحيم

المصدر: إعداد الطالب



إذا أردنا تتبع هذه الدلالات المكانية المتنوعة في هذه الخطبة وجدنا أن كل مكان يشع إلى قدرة الله عز وجل في نسخ هذا الملكوت الأعظم فاستدل أولاً بنجاة يوسف عليه السلام في البئر، وذلك إلى حصانة المولى تعالى التي حصن بها عبده ونجاه من بطش إخوته، ودلالة الكهف الذي أوى إليه الفتيّة، فهو يرمز للمكان العالي الذي أوى إليه المرء ليبتعد عن الناس بنفسه متعبداً لربه.

ودلالة الغار الذي حمى خير البشرية محمد (صلى الله عليه وسلم) حين فر من المشركين فجعل الله له هذا الغار مقاما ومستقرا آمنا، واستغل خلوته فيه للتفكير في ملكوت العزيز القهار المولى عز وجل. أما فضاء الأرض فهو دلالة عن منشئنا ومنبتنا، والجبل معنى الشموخ والارتفاع والسمو، فبالنظر إلى مفردة الجبل نجد أنها ارتبطت بمورثنا الديني وذلك يظهر جليا في قصة ابن نوح الذي من العاصين المتمردين على ما أتى به أباه، كما ارتبطت هنا بموسى عليه السلام الذي اتخذ من جبل طور مكانا لمناجاة ربه، والشمس التي تشع بنورها الساطع وهي دعوة في قدرة الله عز وجل في بث كونه. ولا يخفى علينا هنا ما للمكان من دور في الحفاظ على تماسك وانسجام النص السردي.

#### د/الشخصيات:

لقد زحرت هذه الخطبة بعدة شخصيات دينية، وتتمثل في أنبياء الله المرسلين إلى عبادة؛ هذه الشخصيات الفاعلة والتي كان لها دورا أساسيا في سير الأحداث، فأنبياؤ الله يونس، هود، يوسف، إبراهيم الخليل، محمد، لقمان، نوح، وموسى عليهم الصلاة والسلام، كلها شخصيات تأسس عليها العمل السردي، وقد ركز الخطيب في خطبته على ذكر معجزاتهم التي أودعها الله سبحانه وتعالى لتكون عبرة للمشركين، وقد اختار هذه الشخصيات من الواقع الإسلامي؛ بل من القرآن الكريم والكتاب المقدس، وهي شخصيات واقعية خصها الله بعدة ميزات ومزايا جعلتها متفردة عن الشخصيات العادية، ولم يركز الخطيب على الصفات بصورة دقيقة؛ بل ركز على إعمالهم المميزة ووظائفهم ورسالتهم العظيمة التي بعثوا من أجلها.

#### 6. الإجازة:

#### 1.6 الإجازة لغة:

هو قيام الشيء مقام غيره، ومكافأته إياه: يقال فلانا إجزيه جزاءً، وجازيته مجازة، وهذا رجل جازيك: من رجل؛ أي حسبك، ومعناه بأنه ينوبُ مناب كلِّ أحدٍ كما تقول: كافيك وناهيك؛ أي كأنه ينهاك أن يُطلب معه غيره.

وتقول: جَزَى عَنِّي هذا الأمر، يَجْزِي، كما تقول قضى يقضي، وتجازَيْتُ ديني على فلان أي تقاضيته، وأهل المدينة يسمون المتقاضى المتجازي، قال الله عز وجل في سور البقرة: ﴿يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾.

## 2.6 الإجازة اصطلاحاً:

«أما الإجازات فقد عرفنا أنها تتناول السند وسرد أسماء الشيوخ ومواد الدراسة، ولكن صيغة بعض الإجازات رغم موضوعها وثبوتها على شكل واحد تقريباً كان أقرب إلى الأسلوب الأدبي لأن أصحابها كانوا من الأدباء المهرة فيضفون عليها وطابعهم وذوقهم، وبذلك تصبح الإجازة أدبية من حيث الأسلوب على الأقل» (ابن فارس، 1979، صفحة 233).

\* الإجازة الأولى: إجازة محمد الزجاني لأحمد بن محمد الشريف المعروف بـ "ابن سحنون جاء

فيها:

"الحمد لله حمدا لا ينبغي لأحد سواه، تتخلى عاجزة عن القيام به الآذان والأفواه، الذي جلت الآؤه عن أن تحاط بعد، وتعالى كبريائه عن أن تشمل بجد، تاهت في معرفته سباق سابه الإفهام، وغرقت في بحار عزته سواق سابحة الأوهام، وكيف لا وأمام الأكوان بلا شقاق، ومقدم أولى العلوم بالاتفاق، قد قال من قال، فلم يبق لأحد مقال. اللهم لا أحصي ثناء عليك، كما أثنيت على نفسك، فإذا أطبقت النقول وأجمعت العقول على أن العجز في جانبه إدراك، وإذا مما ليس عنه انفكاك، وإن جميع ما يخطر في مرآة العقول من الارتسام مباين له تعالى، بل هو محط تخيلات وأوهام لعدم انفكاه عن سمات محدثات الأكوان، ليس كمثلته شيء، جاء متواتر القرآن، فحمده تعالى أحسن تعالى أحسن ما اشتغل به الجنان، وأحلى ما نطق به اللسان، وأذ ما سمعته الآذان، وأفضل ما خط القلم بالبنان. فسبحان من آخر من حيث هو أول، ومن أول ومن حيث هو آخر. ومن ظاهر من حيث هو باطن. ومن باطن من حيث هو ظاهر، والصلاة والسلام على من هو كهفنا سيما عند حلول المخاوف ومعاينة المعاطب والمتآلف فهو صلى الله عليه وسلم الأمن من العذاب في الدارين، والنعمة العظمى والرحمة الكبرى في المكانين. وعلى آله وأصحابه بدور الأمة وأداء أدلة الأئمة. اللهم بجاهه مع صحابته فرج عنا المضائق، وأطع عنا العلائق، كشف لنا الحقائق، وأجبر لنا الكسر، وبين لنا حقيقة الأمر، فإن الذي حققت الحق وبيتته فجعلت عليه نورا، وأبطلت الباطل وأرهقته. فجعلته منثورا. اللهم أرنا للحق حقه. وأعنا على إتباعه، وأرنا الباطل باطلا وأعنا اجتنابه أمين".

"هذا وإن ولدنا الفقيه التحرير، الحسيب الشهير، السيد أحمد بن محمد بنعلي بن سحنون الشريف، صاحباً عدة ليال وأيام وتردد إلى مجالسنا تردد الكرام، وسلك معنا في الفنون عدة مسالك، من غير اختصاص بألفية ابن مالك، حفظ الله نجاته لانتفاع، ووسع صدره للعلم غاية الاتساع، ثم سألتني أن أجزته في تشبيه إياي بالغير سالكا في ذلك طريق أهل الفضل والخير، فكلفني أمراً شططاً، والزمني مهامه يحار فيها القطي، فأعوذ بالله أت تحدثني نفسي الأمانة بما ليس لي عليه بينه ولا أمانة، فأنا والله ليست

ممن يجيز بل ولا ممن يجاز، ولا ممن ينحاز، ولكن القضاء مع الاقتداء بالسلف سهل مثل ذلك على الحلف، والنية لازالت أساس الأعمال، صلاح كل حال، فحينئذ قلت قد أجزت ولدنا فيما قرأ علي وفيما تحصل لي وانتهى إلي، من أصول وفروع، ومروي ومسموع، أو مؤلم وموضوع، وليبت دعوته وقبلت طلبته، وقلت قد أجزت الفقيه المذكور في جميع ذلك ما حضر قراءته علي، وما لم يحضره إجازة تامة، مطلقة عامة، بشرطها المقرر وقيدها المعبر، وهو الصدق والأمانة والتحري، وإن يقول فيما لا يدريه لا أدرى، موصيا له برفع الهمة، وحفظ الحرمة، والعمل بالعلم، فإنه يستجلب النور والفهم والتقوى الله الذي لا بد لنا من لقائه، وأن يسهمنا من صالح دعائه".

"وقد كان قرأ علي أكثر صحيح الإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري درسا، وسمع باقية بخضرتنا، وأكثر القرآن العظيم درسا، وقرأ علينا أوائل كبرى الشيخ السنوسي، ومعظم جمع الجوامع؛ ومعظم شرحه لجلال الدين المحلي، وكل جوهرة الأخصري وسلمه، [...] كما قرأ علينا الوضع ونخبة ابن حجر قراءة تحقيق في الجميع، وغير ذلك مما أجزناه فيه إجازة تامة شاملة عامة [...]".

لقد قامت هذه الإجازة على محاكاة الزمن الطبيعي، فقد عرفت استقرارا زمنيا، إذا تبدأ بالدعاء ثم انتقل إلى الزمن الماضي من خلال حديثه عن ابن سحنون ومصادر علمه وثقافته في قوله: « هذا وإن ولدنا الفقيه النحرير الحبس الشهير سيد أحمد بن محمد بن علي بن سحنون الشريف صاحبنا عدة ليال وأيام، وتردد إلى مجالسنا تردد الكرام وسلك معنا في والفنون عدة مسالك» (ابن سحنون، 1973، صفحة 230).

وهذا الاستحضار أو التنكير لا يعني في اعتقادنا سوى استعادة لمصادر تعلمه الغزيرة وهو استنكار طويل المدى، وقد استغرق كل النص.

ولو تفحصنا هذه الإجازة لوجدنا أن الماضي هو الغالب عليها.

أ/الديمومة:

- الحذف:

ونحن نتفحص هذه الإجازة نعثر على بعض ما حذف في عملية السرد نقدمه إضمارا فعندما بدأ بالتحدث عن شخصية "ابن سحنون" وكيف لازمه، فكان الحذف على مستوى هذا المقطع إسقاطا سريعا لفترة زمنية تمثلت في المدة التي تلقى فيها تعليمه. فكان الحذف سريعا ساهم في تسريع الحدث.

## - الخلاصة:

أطلعنا السرد في بداية الإجازة على موجز خاص بماضي " ابن سحنون " الذي تمثل في سبل تحصيله للعلم دون التفصيل، وكأنه يريد القفز على كل المساحات الزمنية ليثبت أمرا واحدا وهو إبراز تفوقه وحصوله على هذه الإجازة، فبدأ حديثه عن ملازمة "ابن سحنون" للانتفاع من علمه وثقافته ليُدخل بنا إلى فترات زمنية متسارعة ويظهر تعجيله للأحداث واضحا في كل حدث وآخر .

## ب/فضاء المكان:

يظهر بجلاء أن خصوصية المكان في هذا النص السردية، أقل حضورا وتوظيفا من خلال تعبيره عن بعض الأماكن الطبيعية الحاضرة، فهي بداية النصر الذي خصه لفضل الله سبحانه وتعالى مالك الملك على هذه البشرية، فوظف فضاء مكاني متجل في كلمة مجالس التي يبتغي فيها العلماء، والطلبة للدراسة، أما حديثه عن الجنان والدارين ليبين قدرة الله تعالى في صنع كونه، أما لفظه "كهف" فعبر بها عن الرسول صلى الله عليه وسلم الذي هو المكان الآمن لكل المسلمين والمأوى لكل محتاج.

## ج/الشخصيات:

إن الشخصية الرئيسة والأساسية التي تحدث عنها هي شخصية "ابن سحنون" التي وصفها بعدة مناقب ومزايا، وذلك في قوله: « هذا وإن ولدنا الفقيه النحرير الحبس الشهير، السيد أحمد بن أحمد بن علي بن سحنون الشريف»(ابن سحنون، 1973، صفحة 230). ثم انتقل الكاتب إلى ذكر شخصيات أخرى كانت لها مساهمة فعالة في تكوين هذه الشخصية الرئيسة وحصولها على هذه الإجازة بكل جدارة واستحقاق.

وهي شخصيات فعالة محركة لكل الأحداث، وقد جاء في قوله « وقد كان قرأ على أكثر صحيح الإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري درسا، وقرأ أوائل كبرى الشيخ السنوسي ومعظم جمع الجوامع، بل معظم شرحه لجلال الدين المحلي وكل جوهره الأخضر»(ابن سحنون، 1973، صفحة 231).

فنخلص من خلال هذه الأسماء والألقاب أن الكاتب لم ينجح إلى الإغراب في اختياره لهذه الأسماء بل اختار من الواقع، وهذا ما يؤكد عامل الأصالة عنده واعتزازه بهذه الشخصيات اللامعة في مجال الفكر والعلم والدين وقد ساعدته للكشف عن نبوغ هذه الشخصية الفذة وإبراز قدراتها التي استطاع أن يتميز بها عن غيره، وإثبات جدارته بالإجازة.

## 7. خاتمة :

في نهاية البحث نخلص إلى أن فنون النثر الجزائري القديم على الرغم من تأثرها بفنون النثر في المشرق العربي، إلا أنها استطاعت أن تتجلى للعيان بخصوصيتها التي تميزها عن غيرها، وقد استمدت

هذه الخصوصية من الواقع الاجتماعي والسياسي والديني للجزائر من حيث المحتوى والدلالة ، كما اكتسبت خصوصية فنية من خلال الخصائص الفنية التي انبنت عليها هذه الفنون .

### 8. قائمة المراجع:

#### المؤلفات:

1. ابن رشيقي القيرواني. أنموذج الزمان (الإصدار 2). (بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1991).
2. ابن منظور . لسان العرب (الإصدار 3، المجلد 1). (بيروت، لبنان: دار صادر، 1993).
3. أبو اسحاق ابراهيم بن علي الحصري. زهر الآداب وثمر الألباب (الإصدار 1، المجلد 1). (بيروت، لبنان: المكتبة العصرية، 2005).
4. أبو القاسم سعد الله. تاريخ الجزائر الثقافي (الإصدار 1، المجلد 2). (بيروت، لبنان: دار الغرب الإسلامي، 1998).
5. إحسان عباس. تاريخ الأدباء والأندلسيون-عصر الطوائف والمرابطين (الإصدار 6). (بيروت، لبنان: دار الثقافة، 1981).
6. أحمد القزويني الرازي ابن فارس. مقاييس اللغة. دمشق، سوريا: دار الفكر.
7. احمد بن محمد بن علي ابن سحنون.. الثغر الجماني (الإصدار 1). (الجزائر: منشورات وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، 1979).
8. الحاج محمد بن رمضان شاوش. باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان (المجلد 2). (الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية ، 2011).
9. القلقشندي. صبح الأعشى في صناعة الإنشا. (بيروت، لبنان: المؤسسة العامة للتأليف والطباعة والنشر، دت)
10. شوقي ضيف. فنون الأدب العربي الفن القصصي المقامة (الإصدار 3). (القاهرة، مصر: دار المعارف، 1964).
11. عبد المنعم عبد الحميد. النموذج الانساني في المقامة (الإصدار 1). (مصر: الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، 1994).
12. علي محفوظ. فن الخطابة وإعداد الخطيب. (مصر: دار الإعتصام للطباعة. دت)

13. فكتور الكك. بديعيات الزمان. (بيروت، لبنان: المطبعة الكاثوليكية، 1961).
14. يوسف نور عوض. فن المقامات بين المشرق والمغرب (الإصدار 1). (بيروت، لبنان: دار القلم، 1979).